

المعروف بـ

تفسير الثعلبي

للإمام العالم العلامة أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي

المتوفى ٤٢٧ هـ

تحقيق

الشيخ سيد كسروي حسن

الجزء الأول

المحتوى:

من أول سورة الفاتحة - إلى آخر سورة البقرة

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى
٢٠٠٤ م - ١٤٢٥ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-4410-3



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى: المُتبتلين في ظلام الليل بهذا القرآن.

إلى: الداعين إلى بعث الإسلام من جديد.

إلى: الساعين إلى تجديد ما اندثر من هذا الدين.

إلى: المزيلين عن الإسلام ركام الحشو المُشين.

إلى: المُنقبين عن مفاهيم إسلامية لم يُنْتَبه إليها.

إلى: الصامدين في نحور أهل الكفر والضلال.

أهدي هذا الكتاب
سيد كسروي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم: سيد كسروي

الحمد لله .. ثم الحمد لله .. ثم الحمد لله مُيسر القرآن للذكر، ومُزينه للفكر، ومُبهر به أهل الكفر، مُفصله تفصيلا، ومُبيّنه تبيينا، ومفصله على كل لغة تفصيلا، مُخاطباً به العقول والقلوب فجاعله غلباً غير مغلوب.

وأشهد أن لا إله إلا الله مقيماً حجته بالقرآن على من عصاه، ومقوّياً بصيرة من آمن به فاتخذه نبراساً لهُدَاه فلم يلفت قلبه إلى مكاء وتصدية وتشويش من عاداه.

وأشهد أن سيدنا محمدًا ﷺ رسول الله أُنزل عليه القرآن فآمن به وتلاه كما أُنزل عليه، على من دعاه، فكان من أجابه إليه أكثر ممن عصاه، وشنف سمع الزمان بموسيقاه، فبلغ ما بين الخافقين صداه، وظهرت به على البسيطة دعواه أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فَتبصَّرَ بالقرآن وحده العباد إلى طريق الله بغير حجة أو إعجاز سواه، وظل كتاب الله على مَرّ الزمان يتحدّى، ويجدد التحدّي لكل من قصده أو تصدّاه، ببساطة عبارته وسهولة تناوله لمن تلاه، وجمال نظمه لمن سمعته أذناه، فأعجز أهل اللسانيات والصوتيات فجذب منهم الانتباه، وبهر أهل العلوم المدنية بدقة مكنون ما حواه، فأقر كثير منهم بعد كفره بلا إله إلا الله، ومن لم يلفظها منهم فقد أيقن بها ما صدره قد حواه، وإنما كتمها إتباعا لهواه.

فيا من تدعو إلى الله اقرأ على من تدعو ما أُنزل على رسول الله بطريقة تلاوته إياه، فهذا أسلوب توصيله وبلوغه من المدعو مداه، وإياك ثم إياك الافتيات على الله، أو اختيار أسلوب من عندك سواه، فلا يصلح لدعوة البشر إلا ما الله اختاره وانتقاه، فهو أعلم بما أودعه من أسراره في تأثيره على من أنصت إليه أو تأمل معناه، فلا يجد أمامه سبيلاً غير أن يخاف ربه ويؤمن به ويخشاه مبتغياً من ذلك حُبّه ورضاه.

أما بعد:

فإن مما لا بد منه أو من باب لزوم ما يلزم أن أذكر في هذه المقدمة بعض ما هو تقليدي أو معتاد في مثل هذه النوعية من الكتب، فأُلخص ما أريد أن أتكلم فيه فيما يلي:

ما هو التفسير؟ ومن هم أشهر المفسرين الأُول؟ وما هي آراء العلماء في التفسير، وكيف يكون التفسير؟ وما هو التفسير المناسب أو المطلوب الذي يخدم غرض القرآن حقاً؟ وما يجب علينا نحو القرآن، وبعض نماذج من أسماء كتب التفسير، وما هي بمناهج المفسرين، والمفسرين في العصر الحديث، تفسير الثعلبي ما له وما عليه، ولماذا طبع هذا التفسير على رغم المآخذ الكثيرة عليه؟ وكذا تفسير السُّلمي وموضوعات أخرى أتعرض لها في حينها أثناء طرح هذه المقدمة ولا أسير في المقدمة

على ترتيب ما ذكرت هنا ولكن حسب ما أرى أو ما يوفقني الله تعالى إلى إيراده، فأبدأ بعون الله تعالى بما يلي:

ما هو التفسير: قيل: هو والتأويل واحد، وقيل غير ذلك والمتفق عليه أن التفسير هو: الإبانة والإيضاح وكشف المغطى أو كشف المراد عن المشكل، وهذا من الناحية اللغوية.

أما من الناحية الاصطلاحية: فهو علم يُبْحَثُ فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله بقدر طاقة البشر، وعن أحوال هذا الكتاب من جهة نزوله وسنده وأدائه، وألفاظه، ومعانيه المتعلقة بالألفاظ، وكيفية النطق بهذه الألفاظ ومدلولاتها وأحكامها ومعانيها.

ما هو الغرض من التفسير؟ الغرض منه هو حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على الوجه الصحيح ومعرفة الله تعالى للوصول إلى فهم معاني القرآن وتجلية ما يظن أنه مبهم منه.

قواعد وضعوها لمن يقوم بهذا العلم:

تتلخص قواعدهم في أنه لا بد أن يكون المفسر ملماً بالأدوات اللازمة لذلك والتي من أهمها وفرة العلم والإحاطة بمعظم العلوم الشرعية وخصوصاً تلك التي تخص أو تمس القرآن الكريم والتي على رأسه علم القراءات، ومعرفة المكي من المدني، وتحرير السور المختلف فيها وكذا الحضري والسفري، والنهاري والليلي، والصيفي والشتائي، والفراشي والنومي، والأرضي والسماوي، وأول ما نزل وآخره وسبب النزول، وما تكرر نزوله ولماذا، وما نزل مفرقاً وما نزل مجتمعاً، وترتيب نزوله، وأسانيده وتواتره، والوقف والابتداء والوصل لفظا ومعنى، والإمالة والفتح، وأحكام التلاوة، وكيفية القراءات والتجويد وآدابها، والغريب فيه، وما وقع فيه من غير لغة أهل الحجاز وغريب العرب، هذا كله فضلاً عن التمكن الشديد من علم اللغة والإعراب ووجوه النظم وأسرار البلاغة، والمحكم والمتشابه، والعام والخاص، والمفصل والمجمل، والناسخ والمنسوخ، والمشكل، والمطلق والمقيد ومنطوقه ومفهومه، وحقيقته ومجازه وتشبيهه واستعارته وكنايته وتعريضه وحصره واختصاصه وإيجازه وإطنابه، وخبره وإنشائه، وفواتحه وفواصله وخواتمه ومناسبات الآي، وإعجازه، وأمثاله، وأقسامه، وجدله، ورسمه الإملائي ... الخ هذا بعض قول بعضهم في الشروط التي وضعوها للمفسر.

أشهر المفسرين :

اشتهر عدد غير قليل بالتفسير وأنا أذكر هنا جماعة منهم ليس على سبيل الحصر وإنما على سبيل المثال بادئاً بعصر الصحابة **فأشهر من رُوي عنه التفسير من الصحابة**:

رئيس المفسرين أو شيخهم أو من أطلق عليه ترجمان القرآن عبد الله بن عباس، ثم عبد الله بن مسعود، ثم علي بن أبي طالب، ثم عمر بن الخطاب، ثم أبو بكر الصديق، ثم سيد القراء أو أقرأ الصحابة أُبيّ بن كعب، وقد ذكرت هؤلاء النفر من الصحابة رضي الله تعالى عنه حسب الأكثر تفسيراً فالأقل.

ثم من المقلين من الصحابة في التفسير: خادم رسول الله ﷺ أنس بن مالك، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وأبو موسى الأشعري صاحب الصوت الحسن، وعبد الله بن عمرو بن العاص وهو أحد العبادلة، وكاتب الوحي زيد بن ثابت.

ومن أشهر المفسرين من التابعين

أصحاب بن عباس وهم علماء مكة ومنهم: مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وطاووس، وعطاء بن أبي رباح.

وأصحاب ابن مسعود وهم علماء الكوفة ومنهم: علقمة بن قيس، والأسود بن يزيد، وإبراهيم النخعي.

وأصحاب زيد بن أسلم منهم: عبد الرحمن بن زيد، ومالك بن أنس، والحسن البصري، وعطاء بن أبي سلمة ميسرة، ومحمد بن كعب القرظي، وأبو العالية الرياحي رفيع بن مهران الرياحي، والضحاك بن مزاحم، وعطية العوفي، وقتادة بن دعامة السدوسي، والربيع بن أنس، والسدي.

ثم تأتي بعدهم طبقة أصحاب كتب التفسير التي تجمع أقوال الصحابة والتابعين ومنهم:

سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج، وزيد بن هارون، وعبد الرزاق، وآدم بن أبي إياس، وإسحاق بن راهويه، وروح بن عبادة، وعبد الله بن حميد، وأبي بكر بن أبي شيبة.

ثم تلتهم طبقة أخرى منهم:

عبد الرزاق، وعلي بن أبي طلحة، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن ماجة، والحاكم، وابن مردويه، وأبو الشيخ ابن حيان، وابن المنذر.

ثم تلت هؤلاء طبقة اتسم تفسيرهم بكثير من الفوائد وهي محذوفة الأسانيد منهم:

أبو إسحاق الزجاج، وأبو علي الفارسي، ومكي بن أبي طالب، وأبو العباس المهدوي، وأما أبو بكر النقاش،وأبو جعفر النحاس فقد استدرك عليهما الناس كثيراً.

ثم عقب هذه الطبقة ألَّفَ جماعة من المتأخرين كتباً في التفسير اختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال مبتورة فدخل من هذا الباب الدخيل والتبس الغث بالثمين والصحيح بالعليل، ومن خطر بباله قول أثبته واعتمده.

ثم جاء من بعد هؤلاء قوم فسروا القرآن حسب ما برعوا فيه من فنون أو علوم وطوعوا القرآن ليخدم فنونهم أو مذاهبهم، فذهب قوم في تفسير القرآن إلى الإعراب والنحو كالزجاج، وذهب قوم إلى الأخبار والحكايات والقصص والأساطير نقلاً عن أهل الكتاب وغيرهم من السابقين ومن بين هؤلاء الثعلبي صاحب هذا التفسير الذي نحن بصدده، وذهب الفقهاء إلى تطويع القرآن ليخدم مذاهبهم الفقهية سواء كانت تحتمل الآية هذا المذهب أو لا تحتمله وسردوا فيه المسائل الفقهية مفصلة ودحض أدلة مخالفيهم كالقرطبي، وذهب قوم إلى خدمة مذاهبهم الفكرية أو العقلية والفلسفية وأقوال الحكماء كالفخر الرازي لدرجة جعلت بعضهم يقول: فيه كل شيء إلا

التفسير، وكذلك أصحاب المذاهب أو الفرق كالمرجئة والأشاعرة والمعتزلة وغيرهم كالزمخشري في الكشاف، وآخرون يفسرون بلا رعاية لأي أصول من أصول الشريعة أو اللغة كالكرماني الذي حشد كتابه " العجائب والغرائب " فقد جمع فيه كل ما هو عجيب وغريب، ومنكر وباطل، وما لا يحل اعتقاده، وكذا تفسيرات المتصوفة والتي من أشهرها تفسير السلمي المسمى: " حقائق التفسير " ، الذي ذهب بعضهم إلى تكفير صاحبه إن كان يعتقد ما فيه.

المفسرون والعصر الحديث :

ظلت مسيرة التفسير تسير من عصر إلى عصر بنفس طريقتها التي بينت بعضاً منها وأصبحت هي المسيطرة على أذهان الناس، وصارت لها على الرغم مما فيها قدسية طاغية ونُظرت إليها على أنها لا يمكن المساس بها أو الخروج عن تلك الطريقة التي سلكها مؤلفها أو التحول عن منهجهم في التفسير، وقد بينت أنها لا تخرج عن اللغة، والتاريخ والفقه، والإسرائيليات التي لا يخلو منها كتاب كالطبري، والقرطبي، والنسفي، والزمخشري، والبيضاوي، والرازي، والسُّلمي، والثعلبي، وابن كثير .. الخ وقد جاء على مر العصور والزمان علماء أفذاذ حاربوا ما في هذه التفاسير من الأساطير منهم ابن حزم، وابن تيمية، وابن القيم وغيرهم، غير أن محاولاتهم ومحاربتهم لها لم تغير شيئاً من تأثيرها على نفوس الناس أو على قبولهم لها، وظل الزمن يسير بها من عصر إلى عصر إلى اليوم، غير أنه ظهر في الطريق في القرن الماضي منهج جديد نسبياً وهو منهج الشيخ محمد عبده وإن كان قد سار على منهجهم العام في الانتقال من آية إلى آية ومن سورة إلى سورة غير أنه بدأ يفسر تفسيراً مختلفاً حيث ترك أو حذف من كتابه المأثور، والمنقول والإسرائيليات والأساطير، واستخدم كليات المعاني وما يدل عليه سياق الكلمات، ومع الاستفادة المطلقة مما استجد من ثقافات وعلوم ومعارف معاصرة وألفاظ لم تكن مستخدمة من قبل، فجعل الناس ينتبهون إلى أن روحاً جديدة بدأت تدب في عالم التفسير والمفسرين، وأن دماً جديداً بدأ يتدفق في تلك الشرايين، وأصبح لهذا الشيخ مدرسة في التفسير انضم إليها كوكبة من العلماء المثقفين بالثقافات الشرعية النقية والثقافات المدنية المعاصرة على رأسهم الشيخ محمد رشيد رضا صاحب " المنار " الذي اعتبر أيضاً امتداداً لتفسير الشيخ محمد عبده، وقد وصل في تفسيره هذا إلى سورة يوسف ثم وافته المنيّة، وكان سبقه الشيخ الجوهري حيث وضع تفسيراً أسماه: " الجواهر " يوضح فيه حكمة الله تعالى في الطبيعة والنباتات والحشرات والحيوانات إلى آخر ذلك من الظواهر الكونية إلاّ أنه ذهب فيه مذهباً بعيداً حتى خرج عن كونه تفسيراً وقالوا فيه كما قالوا في كتاب الفخر الرازي: فيه كل شيء إلاّ التفسير، فقد خرج عن الموضوع القرآني إلى الموضوع العلمي البحت مما جعل القارئ لا يعرف في أي شيء يقرأ ولا عن أي آية يتحدث بعد تركه للآية بعدّة أسطر، فيجد نفسه في بحر من العلوم المدَنيّة لا يعرف كيف أو من أين الخروج منه.

ثم ظهرت في أيامنا هذه مرة أخرى تفسيرات على النمط القديم يتخللها تفسير جديد ولكنه ليس تفسيراً ذا منهج سلفي أو علمي ولكنه يعتمد على التأثير النفسي للآية على كاتبها أو مفسرها وقت تفسيرها ألا وهو تفسير " الظلال " للشيخ سيد قطب فهو لم ينهج نهج السابقين ولكنه وضع

لنفسه منهجاً خاصاً روحيًا إيحائياً تصويرياً انفرد به.

ثم جاء من بعده تفسير آخر هو تفسير الشعراوي، وهذا التفسير اعتمد اعتماداً كلياً على الخاطرة اللحظية أيضاً لصاحبه وهو يشبه منهج سيد قطب، غير أن الشيخ الشعراوي حاول أن يأخذ من سيد قطب ومحمد عبده ويضيف من عند نفسه إلا أنه لم يلق قبولاً لدى المثقفين حيث استخدم فيه اللغة العامية استخداماً مفرطاً كما أنه كثيراً ما كانت الخاطرة لا تكون موفقة.

وظهرت ظاهرة أخرى في القرن الماضي تأثرت تأثيراً شديداً بمنهج الشيخ طنطاوي الجوهري وهي فكرة الإعجاز العلمي أو الطبي أو الفلكي للقرآن، إلا أنها لم تُخرج تفسيراً مستقلاً متخصصاً في كل مجال منها إلاّ أنها تقوم على خطة عقد مؤتمرات أو ندوات علمية وقد أسلم في بعض تلك الندوات أو المؤتمرات كثير من العلماء المدنيين بعد تعرفهم على حقائق علمية لديهم كانوا يظنون أنهم هم من اكتشفوها أو تحدثوا عنها فوجدوا أنهم قد سبقهم بها القرآن منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة وأنهم لم يكونوا أول من اكتشفها.

إلا أن عدداً من العلماء يرى عدم الزج بالقرآن في هذا المعترك الذي ما جاء القرآن من أجله بل ليس هدفاً أساسياً من أهدافه بل هدفه الوحيد هو هداية الناس إلى طريق ربهم المستقيم حيث إنه كتاب هداية وليس كتاباً علمياً أو تاريخياً أو فلكياً وإن كان القرآن قد تعرض لهذه العلوم وغيرها إلاّ أنه كان وسيظل هو المصدر الرئيسي للهداية وليبصر الناس إلى الحق ما قام على نقله إلى الناس من يؤمنون به إيمان النبي ﷺ وأصحابه، وهذا أمر عسير إلاّ على من يسره الله له.

آراء بعض العلماء في التفسير

بعض العلماء يرى أن القرآن مُبينٌ مُفسرٌ واضحٌ في ذاته لا يحتاج إلى تفسير إلاّ في بعض الألفاظ الغريبة على القارئ وبعض آيات الأحكام أو المجملات ويستدل أصحاب هذا الرأي بآيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ **قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ** ﴾[سورة المائدة: ١٥]، ﴿ **تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ** ﴾[سورة يوسف: ١]، ﴿ **تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ** ﴾[سورة الحجر: ١]، ﴿ **وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** ﴾[سورة الشعراء: ١٩٢-١٩٥]، ﴿ **تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴾[سورة النمل: ١]، ﴿ **وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ** ﴾[الجاثية: ٢٥]، ﴿ **وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ** ﴾[سورة النور: ٣٤]، ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾[سورة القمر: ١٧]من تلك الآيات التي سردت في أن القرآن لا يحتاج إلى تفسير استدل القائلون بذلك ولقولهم واستدلالاتهم وجاهة قوية يذهب إليها المحافظون على روح الإسلام النقي ليبعد عن الدين الأساطير والإسرائيليات التي لحقت بكتب التفسير والتصقت بالإسلام وأصبح من لا علم له بحقيقته يظن أنها منه.

وذهب آخرون إلى أن القرآن يُتعبد به ولا يفهم معناه إلا بتعريف النبي ﷺ وما لم يُعرِّف النبي فلا سبيل إلى معرفته، وهو قول بَيِّن العوار فكيف يُتَعَبَّد الله تعالى بما لا يفهم وكيف يدين الإنسان بما لا يفهم.

وذهب غيرهم: إلى أن القرآن مقصود بمعانيه وتلاوته وترطيب الأسماع به والتعبد به وذهبت

طائفة: إلى أنه لا يجب تفسير القرآن إلا بالقرآن وهي الأضمن للجمع بين التفسير وعدم التفسير وأن ما أُجمل في مكان منه فُصل في غيره.

وذهبت طائفة أخرى: إلى تفسير القرآن بالقرآن فما أمكن تفسيره فُسِّرَ به وما لم يمكن بحث عنه في السنة النبوية لقول الرسول ﷺ : " ألا إني أُتيت القرآن ومثله معه ".

هل نحن في حاجة إلى تفسير القرآن؟

بعد هذا السرد للأقوال التي رددت عبر السنين الطويلة السابقة ولا تزال تردد فإن هذا السؤال يطرح نفسه بإلحاح وللإجابة عليه أقول راجياً من الله تعالى التوفيق:

وبنظرة متأملة على هذا السؤال نجد أنفسنا لا بد أن نسأل أنفسنا سؤالاً آخر هو: كيف تلقى المسلمون الأُوَل أو بالأحرى صحابة رسول الله ﷺ القرآن منه ﷺ وهو المتزل عليه ؟ فنجد أن النبي ﷺ الذي أُنزل عليه هذا القرآن، كان تجسيداً له فنقل هذا الإحساس بالصوت والتصرف والسلوك إلى من حوله أو من سمعه منه فصار يسري في أصحابه فتحول من كلمات إلى صور مشاهدة ثم محسوسة، ثم صار سلوكاً في تصرفاتهم فأصبحوا لا يحتاجون إلى تفسير، وللتدليل على ذلك قصص كثيرة توردها كتب السير نختار منها على سبيل المثال: قصة عتبة بن ربيعة حينما بعثته قريش إلى النبي ﷺ وعودته إليهم بما يفيد أنه على يقين مما يقول ومما يدعو إليه وأن هذا اليقين ينتقل منه إلى من سمعه بسرعة غريبة وتفاصيل القصة معروفة في كتب السير.

وكذلك قصة سماع رؤساء مكة النبي ﷺ سراً في الليل لدليل أيضاً على صدق إحساسه بما أُوحي إليه به وقوة تأثير النص الموحى إليه به في النفوس البشرية إذا أصغت إليه بانتباه وأنه مُبين لا يحتاج إلى إيضاح.

وكذا قصة مصعب بن عمير مع رؤساء المدينة وسماعهم القرآن منه وإيمانهم به ودخولهم في الإسلام.

فهذه بعض القصص التي تبين أن للقرآن تأثيراً مباشراً على سامعيه.

ثم إن النبي ﷺ كان يستخدم القرآن المتزل عليه كمادة أساسية للخطابة لدرجة جعلت بعض أصحابه يحفظون بعض سوره الكاملة منه من على المنبر مثال ذلك سورة ﴿ ق ﴾ التي حُفظت من كثرة ترديد النبي ﷺ لها على المنبر.

ثم إن ندرة ما وصل إلينا من تفسير النبي ﷺ للقرآن يفيد أنه كان لا يحتاج سامعه إلى إيضاح.

عدم اهتمام الصحابة ببعض مبهمات القرآن أو غريبه التي لم تكن مألوفة لديهم كقول عمر بن الخطاب: وما يضر ابن الخطاب إن لم يعرف كلمة: ﴿ أبّا ﴾.

عدم اعتراض المشركين على بعض تلك المبهمات حيث كانوا ينظرون إلى كلياته ومضمونه فيجدونه مفحماً ولا عيب فيه، ولا يستطيعون الإتيان بمثله، بل وإيمانهم السريع عند سماع آياته دون السؤال عن معانيها، ليفيد أنهم وعوا ما سمعوا.

أما نحن فقد وقعنا في مآزق كثيرة في محاولتنا التوصل إلى معانيه أو أسراره أو التدقيق في مفردات الكلمات للوصول إلى المعنى المراد وتفسير ذلك بالرأي أو الهوى أو الظن أو التخمين،

والتدليل على أنه المراد الحقيقي لله تعالى في التنزيل.

وضعنا حواجز بين القرآن والمتلقي في صور عديدة مثل أنه لا بد من فهمه إلى من يفسره للمتلقي ولا بد من أدوات وصفات يجب توافرها فيه، وهذا جعل الإنسان المتلقي ينظر إليه على أنه مبهم فلا داعي لأن يُعمل عقله فيه أثناء سماعه وعليه أن يتلقاه على أنه ترانيم هكذا يتلى أو ينطق بلا تدبر في حين أن المفروض والمحثوث عليه من القرآن هو التدبر والتفهم والتعقل: ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**﴾ .

وتوضح جماعة من العلماء العقليات أيضاً لفهم القرآن مثل ضرورة معرفة الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، والدراية باللغة، والفقه، والتاريخ في حين أنهم يقولون العبرة بعموم اللفظ لا بسبب النزول.

ثم إن المصدر الفقهي القائل: بأن شرع من كان قبلنا شرع لنا ما لم يكن له ناسخ هذا القول فتح الباب على مصراعيه لتلقي أقوال أهل الكتاب كالإسرائيليات والأساطير التي نقلت عنه وحشيت بها كتب التفاسير.

أسباب النزول وتوسيع إطاره حيث إن هناك آيات واضحة الدلالة في أسباب نزولها كقوله: ﴿ **ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ** ﴾[التوبة: ٤٠]، وقوله: ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا** ﴾ [أول سورة المجادلة]، و﴿ **عَبَسَ وَتَوَلَّى . أن جَاءَهُ الأَعْمَى** ﴾[أول سورة عبس]، و﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ** ﴾[أول سورة المسد].

وهي حالات معدودة محدودة، أما توسيع هذا الباب أيضاً فقد فتح باباً آخر أمام المدعين وأصحاب الأهواء والمذاهب والفرق فاختلقوا القصص والحكايات والأساطير، مع ملاحظة هامة هي أن القرآن نادراً ما يذكر الأسماء أو الأعداد ويكتفي بإعطاء الإشارة للاتعاظ والاعتبار، وعلى الرغم من هذا لهث بعض المفسرين إلى معرفة أعداد السحرة الذين ناظروا موسى عليه السلام، وأصحاب الكهف ومن كان صاحب موسى ومن أي شيء كانت عصاه وأسماء أصحاب الكهف إلى آخر ذلك مما لا فائدة فيه ولا عبرة كقول القائل: علم لا ينفع وجهل لا يضر.

وأما الناسخ والمنسوخ فقد تضاربت فيه أقوال العلماء والمفسرين بين مؤيد ومعارض ولكل منهم استدلالاته.

ظهور الفرق والطوائف والمذاهب التي حَوَّرَت عن عمد معاني الآيات لنصرة مذهبهم كالشيعة والمرجئة والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم.

كثرة التفاسير غيرت المراد من النص القرآن في هذا الزخم الذي بني على الرأي أو الهوى والأحاديث الضعيفة أو الموضوعة والأساطير والخرافات.

إن ما فاتنا هو فهم أن القرآن هو كتاب هداية وكتاب رسالة لهداية الناس إلى ربهم لا كتاب إعجاز أو لغة أو بلاغة أو فقه أو علم ما من العلوم المدنية بل هو كتاب يتعامل مع نفوس البشر فأثر فيهم وأقنعهم بخطئهم وضرورة الرجوع عنه إلى الصواب وذلك عندما لم يكن بينهم وبينه مفسرون فدلهم اللفظ القرآني على الحق والحقيقة ونور قلوبهم بإيقاعه وتراكيبه اللفظية والصوتية

والموسيقية دون تدخل من أحد وإن كان الإعجاز من خصائصه.

وحصرهم الإعجاز في كونه إعجازاً بلاغياً، وقد دخل عليه اليوم إعجازا علمياً وطبياً وفلكياً.. الخ.

كل هذا كان من المآزق التي وقعنا فيها عبر السنين.

وبعد أن سرنا هذا الشوط الذي أرى أنه طال وإن كان في غاية الاختصار، أود أن أعرج على أمر آخر ألا وهو:

كيف يكون التفسير؟ وما هو التفسير المطلوب؟

باديء ذي بدء أنا مع القول الداعي إلى عدم تفسير القرآن لأنه مُفسر بنفسه ولا يحتاج إلى تفسير أو بيان أو إيضاح.

أما عن إجابة هذين السؤالين:

فلا بد أولاً من إزاحة كل الغشاوات أو التراكمات التي وضعت عبر السنين والقرون الماضية في عقول الناس عن أنه لا بد من فهمه إلى تفسيره، وأن نستخلص القرآن من هذه التفاسير أو أن نخلص القرآن وحده غَضًّا طرياً كما جاء به رسول الله محمد ﷺ من عند ربه وأهم ما نأخذه من هذا القرآن أنه رسالة واضحة بَيِّنة من الله إلى الناس لهدايتهم ترغيباً وترهيباً.

ثم الاعتقاد الجازم بأنه كتاب إعجاز لكل عصر بما يناسبه ويحقق ذلك أهل الاختصاص أو من يفتح الله عليه به في أثناء تلاوته وأنه غير ملزم لغيره ما أثّر فيه أو اكتشفه فيه أثناء تناوله للقرآن.

وأنه إنما أراد الله له أن يكون كتاب إعجاز معنوي أو فكري أو وجداني لأن المعجزات الحسِّية قد مضى عصرها بما كان لدى الإنسان من القصور في هذا الجانب، أما وقد علم الله تعالى أنه سيهب الإنسان من الثقافات الفكرية والعلمية ما يجعل القرآن له في كل عصر وفن إعجاز وليس لطائفة معينة أو محدودة من الناس أو لقطر من الأقطار أو زمن من الأزمان، وقد اقتضت إرادة الله أن يكون هذا النبي هو آخر الأنبياء، وهذه المعجزة آخر المعجزات فجعلها ملائمة لكل قطر وعصر وزمان وفهم وعلم وجنس، وطالب الكلّ أن يتدبروا آياته إعمالاً لعقولهم والنظر فيه بعين الاعتبار والتفكر والتأمل، لا في معانيه أو في تفسيراته التي يضعها البشر بل فيه هو شكلاً وموضوعاً، جوهراً ومخبراً، فقد كانت المعجزات الحسية تحوّل الناس الذين يشاهدونها من الكفر إلى الإيمان، فجاء هذا الكتاب ليفعل ذلك في النفس البشرية وعلى مَرّ الأزمان، وكان أول فتح بالقرآن أن فتحت المدينة به، ثم بلاد الصين وغيريهما بنفس الكتاب وليس على لسان نبيه بل على ألسنة أصحابه وأتباعهم وإلى اليوم، وقلَّما تَدبرّ مُتَدَبِّر لهذا الكتاب من العلماء إلاّ آمن بما فيه أو آمن بالله تعالى نابذاً حضارته المزعومة داخلاً في دين الله تعالى.

إن القرآن ليفاجئ قارئه أو مستمعه بموسيقاه التي تأخذ بالنفوس من أول:﴿الٓمٓ﴾، ﴿صٓ﴾، ﴿قٓ﴾، ﴿نٓ﴾ تلك الحروف المقطعة التي لم يألفها البشر في تلاوتهم أو قراءتهم للكتب الأخرى، ثم تأتي بعد كل حرف من تلك الحروف سورة تعطي إيقاعاً معيناً.

ثم إن القارئ أو المتلقي يجد استمتاعاً خاصاً لتراكيب تلك الكلمات خصوصاً إذا كان

القارئ حاذقاً لما له من خاصية التلاوة لا القراءة.

ثم إنه كتاب يحفظ في الصدور في الأصل وإنما جاءت كتابته مرحلة لاحقة فهو بخلاف الشعر، والنثر، فللنثر طريقة في القراءة، وللشعر طريقة في الإلقاء وللقرآن طريقة في التلاوة فاقت كل تلك الطرق والوسائل في الإيقاع النفسي الموسيقي المؤثر الخلاب، ومن المعروف الذي لا يختلف عليه أهل الأصوات أن للموسيقى تأثيراً شديداً على النفس البشرية، بل وعلى الحيوان والنباتات أيضاً، ومعلوم للعام والخاص رقص الخيل على الطبول والمزامير، وسرعة العير أو الإبل على حداء الحادي.. الخ، فقد فاق النَّص القرآني الكريم كل هذه الصوتيات في تأثيره على النفس البشرية، وما ذاك إلاّ أنه تركيب خالقها لإعادتها من شرودها إلى ربها، ومن فجورها إلى تقواها، لا تحتاج إلى أوتار أو إلى آلات أو سُلّم موسيقي أو نغمي محدد، بل لكل سورة إيقاعها الخاص، والجَرْس والتناغم والنَّفَس الخاص الذي يعطينا عند سماعه انطباعاً خاصاً بأن ما نسمع إنما هو إيقاع قرآني يلاحظ ذلك جيداً في الغُنَّة والإظهار، والإقلاب، والهمس، والإجهار، والإخفاء، والتفخيم، والترقيق، والمد، والقصر. إلى آخر ما يُعرف بعلم التجويد الذي هو من أساسيات قراءة القرآن، وليس الهدف منه هو التطريب وإنما جذب القارئ إلى معاني الكلمات والتأثر بمضمونها ودخوله إلى حوزة الإيمان وتركه لمستنقع الكفر والعصيان.

ثم إن لهذه الخاصية الموسيقية في هذا الكتاب الهادي ميزة وهي سُهولة حفظه وأيضاً انتباه السامع إلى القارئ حين يخطئ سريعاً وإن لم يكن حافظاً للنص الذي يتلى عليه.

ثم ننتقل إلى خاصية أخرى من خصائص القرآن الكريم ألا وهي خاصية التصوير اللفظي:

وهذه الخاصية من الخصائص التي تُغني أيضاً عن تفسيره فإن القرآن يعطينا أثناء قراءته صوراً تخيلية، ولوحات فنية، تجعلنا نعيش الآية المتلوة أو المسموعة، بل نكاد نشعر أننا نشاهدها بالفعل بل نكاد نشعر بالجو الذي تدور حوله الآيات من نعيم أو هم وغم وشقاء وعناء أو انبساط ؟ أو بطش أو رحمة أو حدائق غناء أو مؤامرة دنيئة، فينقلنا من الحالة التي نحن فيها إلى الحالة التي يريدها بتصويره مع موسيقاه، فقد استجلب الأذن أول ما استجلب، ثم تداعت بعدها باقي الحواس الهامة كالبصر، والفؤاد، وغيرها من خلال وصفة أو قَصّه لما يريد أن يُدخل النفس فيه.

وهو يستخدم كثيراً المؤثرات السمعية، والبصرية، والنفسية كالشمس، والقمر، والليل، والنهار، والظلام، والنور، والسماء، والأرض، والأشجار، والأنهار، والطير، والحيوان، والجنة، والنار، والعدل، والظلم، والقهر، والبطش كما يستخدم أيضاً الألوان ذات التأثير المباشر على النفس كقوله تعالى: ﴿ **حُمْرٌ** ﴾، و﴿ **صُفْرٌ** ﴾، و﴿ **بِيضٌ** ﴾، و﴿ **سُودٌ** ﴾، و﴿ **خُضْرٍ** ﴾.

ومما لا شك فيه أن لهذه المسميات أو الصور تأثيراً نفسياً يضفي على الإنسان أو المتلقي تأثيرات مختلفة من انبساط أو انقباض، ولظلالها الزاهية أو القاتمة أيضاً انفعالات أخرى على وجدانه.

ومن أول من لفت الانتباه إلى هذا النوع من خصائص النص القرآني هو الأستاذ سيد قطب رحمه الله في كتابه: " التصوير الفني في القرآن "، وكتاب: " مشاهد القيامة في القرآن "، وكتابه: "

في ظلال القرآن ".

وأعقبه في هذه الأيام مهندس شاب هو الأستاذ/ ياسر أنور، فقد وضع كتاباً قيّماً قريباً من هذا المعنى أسماه: " سينمائية المشهد القرآني " إلا أنه يدور حول الأبعاد الثلاثية للصورة أي: القريبة أو المتوسطة أو البعيدة، وما لكل واحدة منها من تأثير على نفس المشاهد والنقاط التي يريد النص القرآني أن يأخذ المستمع إليها ليدخله في تفاصيلها أو يجعله يحيط بكلياتها دون الدخول في تفاصيلها، وقد جعل محور حديثه مأخوذاً من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾[سورة الإسراء: ٣٦]، وما شابهها من الآيات فقد انتبه إلى أن مستلزمات التصوير أو الإبهار هي هذه الثلاثة مضافاً إليها ثلاثية التأثير النفسي ألا وهي السمع، والبصر، والفؤاد.

ولا فائدة لواحدة دون الأخريين أما إذا اكتملت فقد أدت الغرض المراد منها في النص القرآني وهو الهداية أو الإقناع على الأقل، فالنص القرآني أو المشهد القرآني على حد تعبيره لا بد أن يكون مكتملاً أمام السامع أو القارئ ليؤدي الغرض المطلوب منه، ولا يكون هذا إلا بالتدبر والإنصات والتفكر وإعمال العقل الذي دائماً ما يدعو إليه القرآن الكريم.

ومع أن هذا الأسلوب القرآني التصويري للكلمات كان من أهم خصائصه في تقريب الغيبيات إلى المشاهدات التي يعرفها أو يعتادها الإنسان، وذلك في وصفه لذات الله تعالى ولعرشه ولجنته وناره، فكان أنسب أسلوب يؤثر في نفس البشر ويقرب إليه هذا المعنى هو اللفظ التصويري، وهو التشبيه أو الربط بين الغيب والشهادة لتقريب المعنى ولسهولة الفهم أو الاستيعاب، وانظر في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِه كَمِشْكَاة فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَة الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَة مُّبَارَكَة زَيْتُونَة لاَّ شَرْقِيَّة وَلاَ غَرْبِيَّة يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُور يَهْدِي اللهُ لِنُورِه مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . فِي بُيُوت أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ . لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِه وَاللهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَاب . وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَاب بِقِيعَة يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ . أَوْ كَظُلُمَات فِي بَحْر لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِه مَوْجٌ مِّن فَوْقِه سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْض إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّور . أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّات كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾[سورة النور: ٣٥-٤١]، فإنك ترى كل هذه الآيات مصورة مبهرة مؤثرة تلاحظ فيها التشبيه لا الحقيقة عندما تعود إلى حالتك الطبيعية بعد سماع التصوير اللفظي للنص القرآني، وتجد مع جمال هذا التصوير اللفظي أيضاً الإيقاع السمعي.

ونجد القرآن يعطينا أحياناً تمهيداً لهذا التصوير ليقرب فيه المفاهيم أو المعاني إلى الناس بكل أشكال البيان والتي منها أو من أهمها التمثيل أو التشبيه بضرب المثل فيقول على سبيل المثال: ﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَة طَيِّبَة أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾[سورة إبراهيم: ٢٤]،

فقصروها على النخلة ولما النخلة ؟ ولما لا تكون أي شجرة ؟، ويقول: ﴿ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[سورة إبراهيم: ٢٥]، ويقول: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ [سورة الحج: ٧٣] إلى آخر ذلك من الآيات التي تجعل سُبل فهم القرآن سهلة ميسورة، إلاّ أن هؤلاء المفسرين أبوا إلاّ أن يفرضوا على الناس آراءهم وفهمهم لتلك الآيات أو لهذا الكتاب المنزل ﴿ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[سورة هود وسورة النمل: ٦]، ولا يدعوهم يتفكروا في النص القرآني.

لقد لجأ القرآن الكريم إلى المؤثرات النفسية أو الوجدانية ليصل من أقرب الطرق إلى إقناع الإنسان بالهدف الذي من أجله جاءت الرسل وأُنزلت الكتب ألا وهو عبادة الله وحده وترك ما سواه، وأنه مبعوث، ومحاسب على الخير خيراً وفيراً وعلى الشر بالعذاب الأليم، وأن هذا كله لن يضر الله شيئاً وإنما يعود على الإنسان وأخيه الإنسان بالنفع في الدارين وحذّرهم من اتباع الآباء بغير حجة.

إن القرآن بتراكيبه اللفظية المجردة قادر وحده إذا تلي على من أُصغى بأذن قلبه أو عقله أن يبعثه بعثاً جديداً ويوجه إلى الحق دون تدخل من آخر ليوضح له عباراته.

ومن مبادئ الإسلام الواضحة أنه لا يعرف الكهنوتية في العبادة فلا وساطة فيه بين العبد وربه من أي نوع كانت، وإنما يسعى لأن لا يحال بين الناس وربهم ويتركوا أحراراً في تفكيرهم ثم ليصغوا إلى آياته، ثم لهم حرية القرار بعد.

ومن صفات القرآن أنه ﴿ مُّبِينٍ ﴾ كما قال من أنزله: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ فأي إبانة بعد البيان،فالتفسير اللغوي للقرآن هو جانب منه، والفقهي جانب آخر، والتصويري جانب منه كذلك، والعلمي، والطبي، والعددي، والنفسي كل هذه جوانب منه، فكل هذه التفاسير لا تعطينا الإحاطة الكاملة بالقرآن ومهما استجد من تفاسير أو طرق تفسير فلم ولن تعطينا هذه الإحاطة فالأولى ترك هذه المسألة والأجدر بنا والأحرى لنا أن نخلي بين القرآن وبين الناس وندعهم يشربون من معينه الصافي، فتفسير القرآن هو أن نصغي إليه وفقط بدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[سورة الأعراف: ٢٠٤]، فمن أراد الرحمة فعليه بالاستماع والإنصات، فالاستماع وحده لا يكفي للرحمة أو الهداية، فإن الإنصات كان سبباً في هداية القوم الذين استمعوه من الجن وليس أدل على ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾[سورة الأحقاف: ٢٩]، فبمجرد الإنصات صار هؤلاء النفر من الجن دعاة إلى هذا القرآن فما بالنا بالإنس الذي هو لغتهم، ولقد فطن كفار مكة لهذا الأمر وهو أمر الاستماع مع الإنصات فحذروا قومهم أو سفهاءهم من سماع القرآن، وقد حكى ذلك عنهم القرآن فقال: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾[سورة فصلت: ٢٦].

فتفسيره فقط أن نصغي إليه وننفذ ما فهمناه أو وعيناه ونترك أنفسنا له عند سماعه ليسري في وجداننا صافياً كما نزل على رسول الله ﷺ .

إن هذه التفاسير بما فيها من أساطير وآراء وأهواء وتصورات تفكك آي القرآن، وتقطع

ترابطها، وتشوه صورة الإسلام، وتحط من قدر معجزته الوحيدة والخالدة، والتي تحدّى بها الله العباد المنكرين لوحدانيته على مَرِّ السنين، والتي بهرت كل من نظر فيها أو استمع إليها أو اقترب منها.

كما أن من خصائص النص القرآني أنه يعطيك أكثر من معنى أو إيحاء، وهذا مما يجعله يناسب كل عصر، وكل ثقافة وكل جنس.

تفسير الثعلبي والسُّلمي

إن تفسير الثعلبي من التفاسير التي اهتم مؤلفها بالإسناد اهتماماً كبيراً على الرغم مما فيه من الإسرائيليات، فقد أخذ هذا التفسير مكاناً وشهرة بين التفاسير، وإن كانت شهرته تنبعث من سوء ما فيه من روايات فاسدة أو غير مقبولة شرعاً أو نقلاً أو عقلاً.

وقد شابه هذا التفسير تفسير السّلمي: " حقائق التفسير "،وكلاهما قد طبعته: دار الكتب العلمية، غير أن الثعلبي اعتمد في تفسيره على الروايات الضعيفة والموضوعة والإسرائيليات، وإن كان قد أسند كل ذلك إلى قائليه مما جعل الرجوع إليها والحكم عليها سهلاً ميسوراً، إلا أن السُّلمي بنى تفسيره على ما أسماه غلاة المتصوفة بعلم الباطن أو الحقائق الذي لا يعتمد على سند ولا رواية ولا أثارة من علم بل على هوى قائله أو ناقله وافتياته.

وهذا قد يثير سؤلاً هاماً وهو: لماذا طبع هذا التفسيرَ أو ذاك على الرغم مما فيهما من المخالفات ؟

وللإجابة على هذا السؤال أقول: إن المتحدث عن تفسير الثعلبي أو السُّلمي إنما يتحدث من خلال تقول عن تلك الكتب وليس بين يديه النص الأصلي الكامل لهذين الكتابين، فأردنا أن نضع النص بين يدي الباحث، حتى يكون على بيّنة من حكمه، فإن بعضهم قد حكم على السُّلمي بالكفر إن كان يعتقد ما في تفسيره، فمن قرأ مثل هذا القول قال: وما في تفسيره ؟ فكانت إجابتنا هي وضع تفسيره في يدي السائل عنه، حتى يطالعه، ويطمئن قلبه لما قال القائلون فيه، وهل كانوا مُحقّين أو حاقدين على الرجل أو حاسدين له ؟ فلا يتبيّن ذلك إلاّ من خلال وجود الكتاب بين يدي من أراده.

وكذا تفسير الثعلبي فإنه اشتهر عنه أنه يعتبر مجمعاً للآثار التي لا أساس لها من الصحة والإسرائيليات فكان أن قُدم هذا التفسير في هذه الطبعة ليكون مآله مثل مآل تفسير السلمي.

وقد صَدَّر الثعلبي في تفسيره هذا بحديث مسند لكل سورة من سور القرآن يُبَيِّن فضلها، و لم يتحرّ في ذلك كما هي عادته في هذا الكتاب فقد كانت جلها إن لم تكن كلها ضعيفة أو موضوعة.

كما اهتم اهتماماً كبيراً وملحوظاً بسند ما أورده فيه من الروايات أو القصص أو الحكايات.

وعند تفسيره للآيات كان يذكر إسناد من أخذ عنه هذا التفسير من شيوخه هذا إن لم يكن قوله هو، وقد نقل عن عدد من شيوخه الذين أخذ عنهم التفسير، وعدد آخر اعتمد على تفاسيرهم أو نقل عنها خصوصاً الطبري.

لم يتحر أو يتحرج في نقل القصص التي يرويها كعب الأحبار ومن على شاكلته من القُصَّاص ورواة الإسرائيليات والأساطير المنافية لما يدعو إليه الدين الحنيف أو الفطرة السليمة النقية، وكان اعتماد الثعلبي كغيره كبيراً على اللغة العربية التي كان له فيها الباع الطّولى في تفسيره للآيات.

كما اعتمد أيضاً على القراءات ووجوهها فقد كان من المحصلين فيها تحصيلاً وفيراً في توجيه التأويل للآيات من بداية التفسير إلى منتهاه.

وقد بينت فيما سبق أنني قمت بتحقيق أكثر من النصف الأخير من الكتاب تحقيقاً خفيفاً إذ لم أتحرّ كل نص ولا كل تفسير أو تأويل وإنما كنت أكتفي بإشارة تبين أن ما سبق سيأتي على نحو ما أشرت إليه من كوني معترضاً عليه إما لضعف إسناد الرواية أو لعدم موافقته لما أصبح معلوماً مألوفاً من العلوم المدنية اليوم، مقدماً العذر لمن قال ذلك نظراً لقلّة إمكانياتهم العلمية أو الفلكية في تلك الأزمنة ومُبَيِّناً أن ما سكت عنه ليس معناه أنه تصحيح له، وإنما هو سكوت من باب الاختصار.

فعلى مطالع هذا الكتاب والناظر فيه أن يكون على وعي بما بين يديه من مضمون هذا السفر.

والله تعالى أسأل أن يرزقنا وإياكم الهدى والصواب وحسن الختام بالموت على دين الإسلام اللهم آمين اللهم آمين اللهم آمين.

وكتبه

أبو إسلام سيد كسروي بن حسن

القاهرة

في يوم الجمعة/الرابع من شوال سنة ١٤٢٤ هـ

الموافق ٢٠٠٣/١١/٢٨ م

ترجمة المؤلف

لقد كان الثعلبي بحراً في علوم عدّة ولكن اشتهر وذاع صيته من خلال كتابه:"عرائس المجالس في قصص الأنبياء المذكورين في القرآن"، وكتاب:" الكشف والبيان في تفسير القرآن " وهو كتابنا هذا، وله كتاب آخر إلا أنه لم يجد أو لم ينل من الشهرة ما لكتابيه السابقين ألا وهو كتاب: " ربيع الذاكرين ".

وعلى الرغم من تمكن الثعلبي من علم الحديث رواية ودراية إلاّ أن كتبه جاءت وكأنها مجامع للأحاديث الضعيفة والموضوعة والغرائب وللإسرائيليات حتى لتكاد تندر فيها الأحاديث المتواترة أو الصحيحة.

ومع ما اتسمت به كتب الثعلبي من هذه الصفة وعدم رضا العلماء عنها إلاّ أنها وجدت ذيوعاً وانتشاراً وقبولاً لدى العوام وانتشرت في كل صقع من أصقاع الأرض وقطر من أقطارها.

ومما يشكر للثعلبي في هذه الكتب أنه ذكر ما ذكر فيها مسنداً مما ساعد على بيان عوارها وإلقائه العهدة على الراوي إلا أنه كان يعلم أن تلك الروايات ضعيفة وموضوعة ولكنه سردها ساكتاً عنها بل ومستشهداً بها على صحة تفسيره أو على صدق قول المفسرين ناقلاً لقول.

وحتى الآن لم يجد كتاب من تلك الكتب من يقوم بتحقيقه التحقيق الأمثل، وإن كنت قد قمت بتحقيق أكثر من كتاب " الكشف والبيان في تفسير القرآن " إلاّ أني قد أشرت في إشارات مقتضبة إلى ضعف تلك الروايات نظراً لكثرتها فقد صَدَّر على سبيل المثال لكل سورة من سور القرآن بحديث ضعيف أو موضوع فهذا في الافتتاح لكل سورة فما بالنا بما حوت السورة ونظراً أيضاً لضيق الوقت الذي كنت أعمل فيه، ثم إني كنت أكتفي باعتراضي على بعض التأويلات بما يفهم منه أن ما هو على شاكلته مثله، وعلقت على بعض الآراء ولكن لم أحقق ما حققت من الكتاب التحقيق الذي يرضي نفسي منه ولكن كان تعليقاً من نوع إبراء الذمة مما علق به والإشارة إلى أن الذي سكت عنه ليس معناه أنه صحيح أو مقبول أو أني أوافق عليه، ولكن تركته من باب الاختصار والاكتفاء بالإشارة.

وأتمنى أن يقوم رجل جهبذ بنقد هذا الكتاب أو تحقيقه تحقيقاً علمياً مبسطا لإزالة أو إزاحة ما فيه من العقائد والفهوم المخالفة للإسلام خصوصاً وقد أورد مؤلفه فيه أخباره مسندة مما يسهل عمل المحقق.

أما عن الثعلبي وترجمته فـ:

هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم(*).

(*) من مصادر ترجمته:
سير أعلام النبلاء(٤٣٥/١٧)، ديوان الإسلام(ت ٦٣٩)، معجم الأدباء (٣٦/٥)، معجم المؤلفين (٦٠/٢)، كشف الظنون (١٤٩٦،١١٣)، الرسالة المستطرفة (٥٨)، شذرات الذهب (٢٣٠/٣)، مختصر أخبار البشر (١٨٦/٢)، اللباب (١٩٤/١)، وفيات الأعيان (٧٩/١)، إنباه الرواة (١١٩/١)، البداية والنهاية (٤٣/١٢)، العبر (١٦١/٣)، طبقات المفسرين (٥)، مرآة الجنان (٣/
=

كنيته: أبو إسحاق.

لقبه أو شهرته: الثعلبي.

نسبه: النيسابوري، الفقيه، الشافعي، المفسر، الواعظ، الحافظ.

ميلاده: ولد في سنة أربعين وثلاثمائة.

مذهبه: شافعي.

ومما قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء: الإمام، الحافظ، العلاّمة، شيخ التفسير.. كان أحد أوعية العلم.

قال السمعاني: يقال له: التغلبي، والثعالبي، وهو لقب له لا نسب.

حدّث عن: أبي بكر بن مهران المقرئ، وأبي بكر طاهر محمد بن الفضل بن خزيمة، وأبي الحسن بن أحمد المخلدي، وأبي الحسين الخفاف، وأبي بكر بن هانئ، وأبي محمد بن الرومي، وطبقتهم.

وكان صادقاً مُوَثّقاً بصيراً بالعربية طويل الباع في الوعظ.

حدّث عنه: أبو الحسن الواحدي، وجماعة.

قال عبد الغافر بن إسماعيل: قال الأستاذ أبو القاسم القشيري: رأيت رب العزة في المنام وهو يخاطبني فكان في أثناء ذلك أن قال الرب جل اسمه: أقبل الرجل الصالح، فالتفت فإذا أحمد الثعلبي، مُقْبِلٌ.

قال الإسنوي في طبقات الشافعية: ذكره ابن صالح والنووي في فقهاء الشافعية، وكان إماماً في علم النحو واللغة.

أخذ عن الواحدي.

وتوفي في المحرم سنة (٤٢٧) ولم يعبر.

وقيل: سنة (٤٣٧) حكاها ابن خلكان.

ونقل عن ابن السمعاني أنه قال: يقال الثعلبي والثعالبي، ونقل أيضاً أن ذلك لقب غلبه.

قلت (أي الإسنوي): الثعالبي أديب صاحب نظم ونثر وتاريخ واسمه: عبد الملك، كنيته: أبو منصور، وسُمِّيَ بذلك: لأنه كان فراءً يخيط جلود الثعالب، وتوفي سنة (٤٢٧) ولما توهم ابن خلكان أنهما واحد وتبعاً لمن وقع فيه قبله جعل هذا قولاً آخر في موته ففطن لذلك.

وفاته: وجرت على الثعلبي سُنّة الله في خلقه التي ستدرك كل من دب على هذه الأرض

= ٤٦)، دول الإسلام (٢٥٤/١)، مفتاح دار السعادة (٤٠٣/١)، تذكرة الحفاظ (١٠٩٠/٣)، تتمة المختصر (٥١٨/١)، طبقات الإسنوي (ت ٢٩٨)، سلم الوصول (١١٥)، بغية الوعاة (ت ٦٨٦)، روضات الجنات (٦٨)، هدية العارفين (٧٥/١)، الأعلام (٢١٢/١).

فكانت وفاته في يوم الأربعاء لسبع بقين من المحرم من سنة سبع وعشرين وأربعمائة فرحم الله الثعلبي ورحمنا وأسكننا وسائر أحبتنا جنته برحمته آمين.

ولله من قال:

رأيت الخطبَ جلَّ عن العزاءِ	ففاض الدمعُ ينطقُ بالرثاءِ
ففض الدمع من حزنٍ بحاراً	كأن عيوننا ينبـــوع ماءِ
فيا من حزنت لفقد هـــذا	تحمَّل إنه حكـــمُ القضاءِ
وليـــس لكائن حَيّ مَفـــرٌّ	لما حَكَـــمَ الإله من الفناءِ
وددنا أن يعيش النُّبلُ دَهْراً	وأنْ تحيا المكارم في ارتقاءِ
وكنا نبتغي للجـــود عُمْراً	ونرجو للنَّدى طولَ البقاءِ
لكـــن المَنِيَّـــةَ عاجَلتنـــا	وأودتْ بالكريم أبي السخاءِ
إلهي آتنا صـــــبراً جميلاً	وعـــوِّضنا به خيرَ الجـــزاءِ

* * *

الجزء الثالث
من كتاب الكشف والبيان
في تفسير القرآن تصنيف الأستاذ
ابي القسم احمد بن محمد بن ابرهيم
الثعلبي رواية الشيخ الإمام
ابي عبد الله محمد بن حامد بن
احمد العامري المروزي
رحمهما الله
وعفا عنهما

صورة غلاف المجلد الثالث من مخطوطة الكشف والبيان

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible] سورة مريم [illegible]

[illegible] وثمان وتسعون آية [illegible]

[illegible] أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن [illegible]

[illegible] أحمد بن [illegible] والشيخ عطاء الله بن محمد [illegible]

[illegible] يونس [illegible]

[illegible] عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال قال رسول [illegible]

من قرأ سورة مريم أعطي من الأجر حسنات بعدد من صدق بزكريا [illegible]

[illegible]

كهيعص. قال [illegible] من كاف وكريم وكبير

[illegible] والعين من عليم وعظيم وعزيز والصاد

من صادق [illegible] معناه أيضا كاف لخلقه هاد

[illegible] ذكر رحمت

ربك [illegible]

تقديم [illegible]

صورة من المخطوط وفيها أول سورة مريم

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم عونك اللهم تيسير

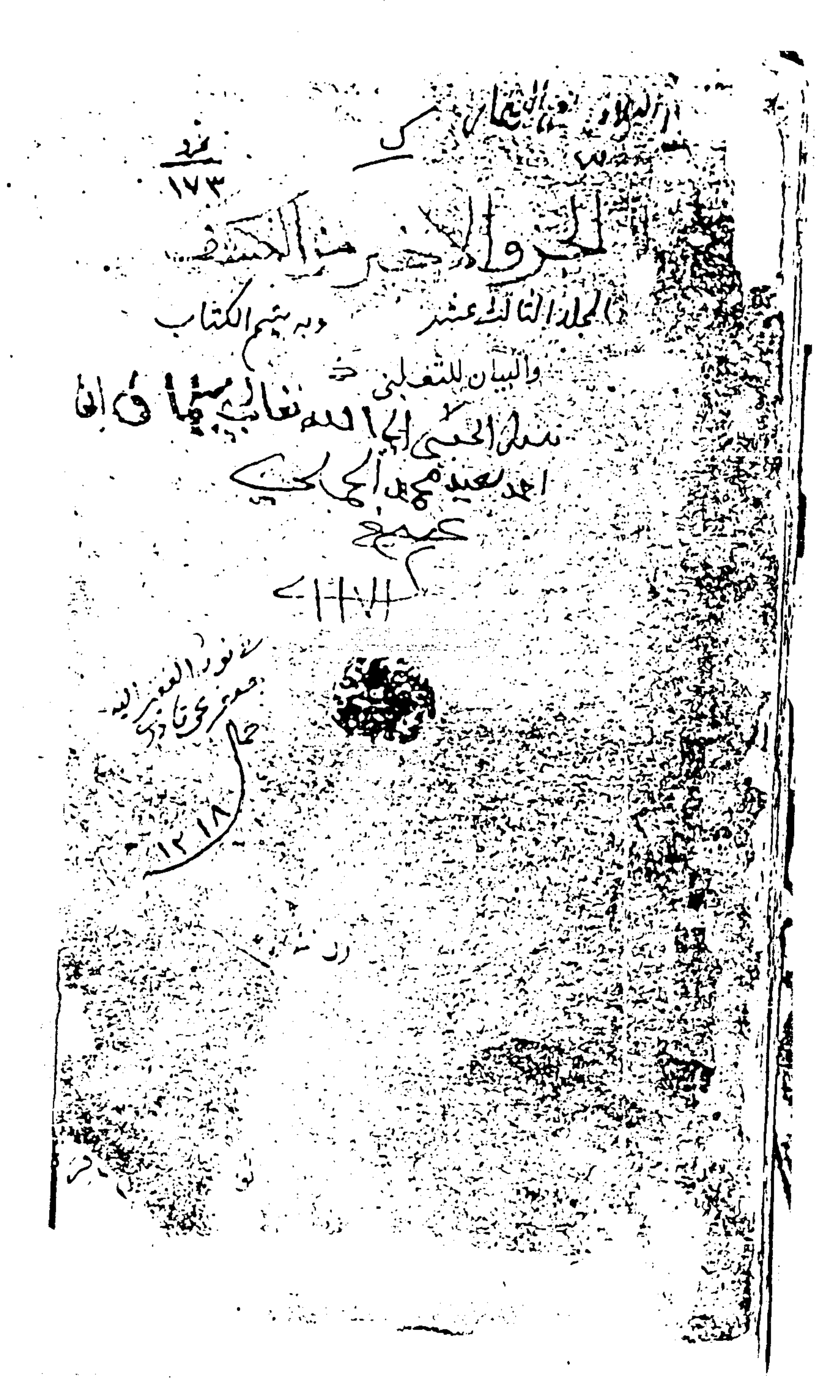
سورة النجم مكية ٥٣

وهي الف واربع مايه وخمسه احرف وثلاث
مايه وستون كلمه واثنان وستون ايه

اخبرنا ابو الحسين محمد بن القاسم بن احمد بقراتي عليه
ابو محمد عبد الله بن احمد بن جعفر نا ابو عمرو الحيري [illegible]
بن عبد الله البصري قال حدثنا محمد بن عبد الوهاب نا احمد بن
عبد الله بن يونس نا سلام بن سليم نا هارون بن كثير عن زيد بن اسلم
عن ابيه عن ابي امامه عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة والنجم اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذب به

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم
والنجم اذا هوى قال ابن عباس في رواية الوالبي والعوفي
ومجاهد برواية ابن ابي نجيح يعني والثريا اذا سقطت وغابت
والعرب تسمي الثريا نجما وان كانت في العدد نجوما وقال ابو
محمد بن الحسن الزبيدي هي سبعة انجم ستة منها ظاهرة وواحد
منها خفي يمتحن الناس به ابصارهم ومنه قول العرب
اذا طلع النجم عشا ابتغى الراعي كسا
وعن مجاهد ايضا يعني نجوم السما كلها حين تغرب لفظه واحد [illegible]

صورة من المخطوط وفيها أول سورة النجم



صورة غلاف الجزء الأخير من المخطوط

وقف ... لله تعالى هذا المجلد وما قبله وجعل النظر فيه لنفسه مدة حياته ثم للأرشد من ذريته [illegible]
[illegible]
[illegible]

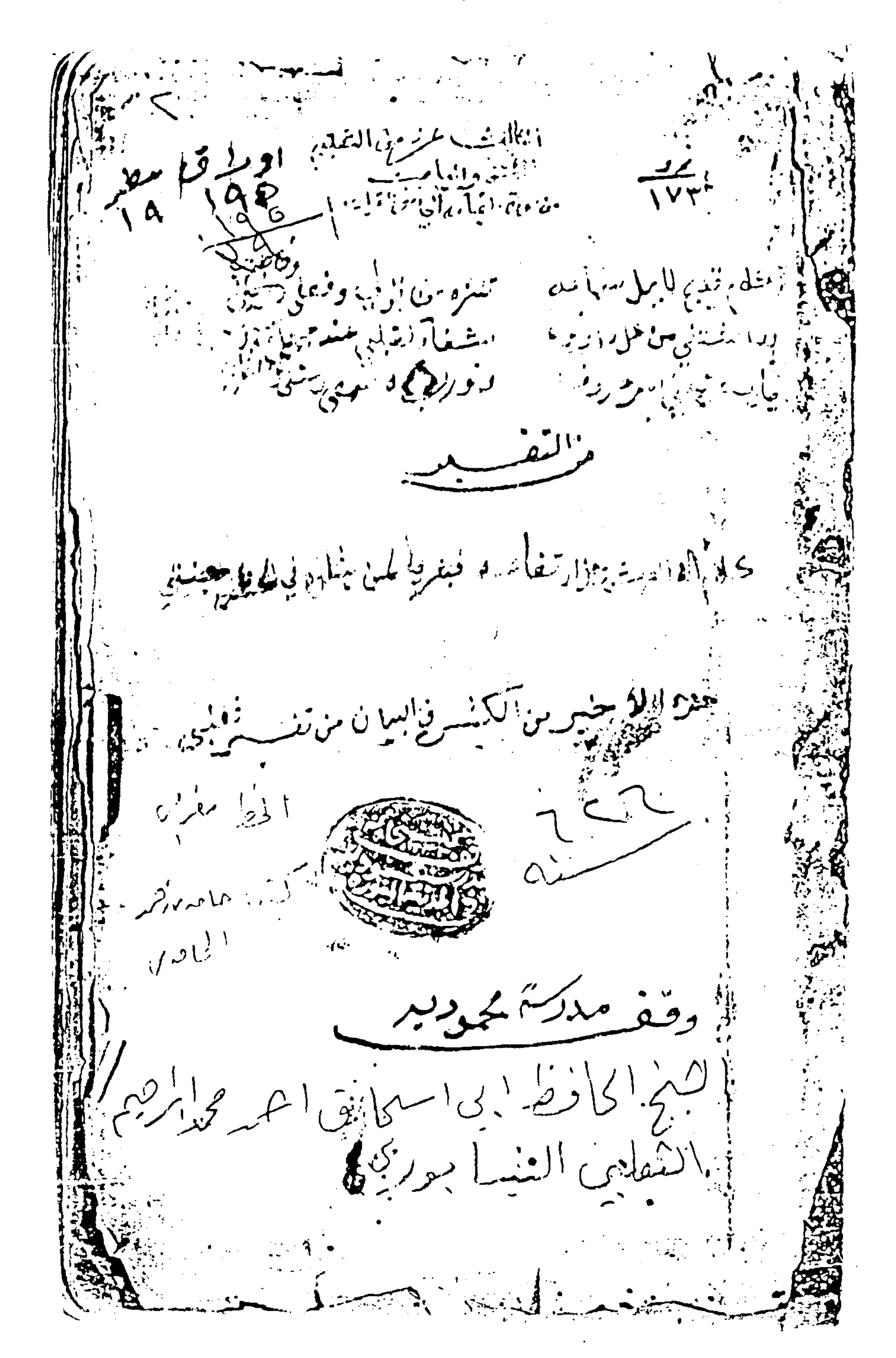
بسم الله الرحمن الرحيم عونك اللهم

(٧٥) سورة القيامة مكية

وهي ستمائة واثنان وخمسون حرفا، ومائة وسبع وتسعون كلمة
وأربعون آية. أخبرنا أحمد بن القاسم الفقيه نا محمد بن يزيد المعدل
نا أبو يحيى البزاز نا محمد بن منصور نا محمد بن عمران بن عبد الرحمن بن
ابن أبي ليلى نا أبي عن مجالد عن عبد الواحد عن الحجاج بن عبد الله عن
أبي الخليل عن علي بن زيد وعطاء بن أبي ميمونة عن زر بن حبيش
عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
من قرأ سورة القيامة شهدت أنا وجبريل له يوم القيامة أنه كان
مؤمنا بيوم القيامة وجاء ووجهه مسفر على وجوه الخلائق يوم القيامة

قوله عز وجل: بسم الله الرحمن الرحيم لا أقسم
بيوم القيامة. قرأ العامة مقطوعة الألف مهموزة، ولا أقسم بالنفس
اللوامة مثلها. وقرأ الحسن وعبد الرحمن الأعرج لأقسم بغير ألف
موصولة، ولا أقسم بالنفس بالألف مقطوعة على معنى أنه أقسم باليوم
ولم يقسم بالنفس، ومثله روى القواس عن شبل عن ابن كثير وكذلك
روى شبل عنه وكذلك في البلد. والصحيح أنه أقسم بهما جميعا. ومعنى
قوله لا أقسم بيوم القيامة اختلفوا فيه فقال بعضهم لا صلة أي أقسم
بيوم القيامة، وإليه ذهب سعيد بن جبير. وقال أبو بكر بن عياش: هو
تأكيد القسم كقولك لا والله. وقال الفراء: قوله لا رد لكلام المشركين

صورة أول سورة القيامة من المخطوط


من التفسير

الجزء الأخير من الكشف والبيان من تفسير الثعلبي

وقف مدرسة محمودية

الشيخ الحافظ أبي إسحاق أحمد محمد إبراهيم
الثعلبي النيسابوري

صورة آخر المخطوط